مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

ما بعد رمضان

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

ما بعد رمضان[1]

الحمد لله ربِّ العالمين، يتيح لعباده مواسم المغفرة، ويعرضهم لنفحات جوده، ليرفع درجاتهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، أحمده على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله أول سابق إلى الخيرات، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الفضائل والكرامات وسلَّم تسليمًا كثيرًا ، أمَّا بعد:

فأيُّها النَّاس، اتقوا الله تعالى، أيُّها المسلمون: إنَّ التَّاجر إذا دخل موسمًا من مواسم التِّجارة، فتاجر فيه وباع واشترى طلبًا للربح، فإنَّه بعد انتهاء هذا الموسم وتصفية معاملته فيه ينظر مبلغ ربحه، وما حصل عليه من مكاسب، ينظر هل ربح أو خسر؟ هل غنم أو غرم؟ هذا الاهتمام البالغ في تجارة الدُّنيا، وعرضها الزائل، تعتبرونه حذقًا ورشدًا، ونحن قد مرَّ بنا قريبًا موسم من مواسم تجارة الآخرة الباقيَّة، تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تجارة لن تبور، قد مرَّ بنا شهر رمضان المبارك، تربح فيه السُّنَّة ثواب الفريضة، وتربح فيه الفريضة ثواب سبعين فريضة، يربح فيه العمل في ليلة واحدة ثواب العمل في ألف شهر، يفوز فيه أهل الاستقامة والصَّلاح برحمة الله، ويحصل فيه المذنبون على مغفرة الله، ويعتق فيه المستحقون لدخول النَّار من أصحاب الكبائر الموبقة يعتقون فيه من النَّار إذا تابوا إلى ربِّهم، من صام أيامه وقام لياليه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، لقد مرَّ بنا هذا الشَّهر بخيراته وعشنا أيامه ولياليه فلنحاسب أنفسنا ماذا ربحنا فيه؟ ماذا استفدنا منه؟ ما أثره على نفوسنا؟ وما مدى تأثيره على سلوكنا؟ هل ربحنا أو خسرنا؟ هل تقبل منا ما عملنا فيه أو رد علينا؟.

لقد كان السَّلف الصَّالح رحمهم الله حينما ينتهي رمضان يصيبهم الهمَّ هل تقبل منهم أو لا؟ فيدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان، فهم كما وصفهم الله بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠- ٦١] يخافون أن تردَّ عليهم حسناتهم أشدَّ مما يخاف المذنبون، أن يُعذبوا بذنوبهم؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

(١) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للمؤلف (١/ ٣١٠ . ٣١٣).

عبادّ الله، إنَّ للقبول والرِّبح في هذا الشَّهر علامات، وللخسارة والرَّدِّ علامات واضحة يعرفها كلّ إنسان من نفسه، ففكِّروا في أنفسكم، من كان حاله في الخير والاستقامة بعد رمضان أحسن من حاله قبله، ومن حسن سلوكه وعظمت رغبته في الطَّاعة، وابتعد عن المعاصي ونفر منها بعد رمضان، فهذا دليلٌ على قبول أعماله الصَّالحة في رمضان، ودليلٌ على ربح تجارته في رمضان، ومن كان بعد رمضان كحاله قبله أو أسوأ، مقيمٌ على المعاصي بعيدٌ عن الطَّاعة، يرتكب ما حرَّم الله، ويترك ما أوجب الله، يترك الصَّلاة ولا يحضر الجمع والجماعات، يسمع النداء للصَّلاة فلا يجيب، ويعصي فلا يتوب، لا يدخل مع المسلمين في بيوت الله، ولا يتلو كتاب الله، ولا يتأثر بالوعد والوعيد، ولا يخاف من التَّهديد، في سماعه للأغاني والمزامير، ونطقه قول الزُّور، وشرابه الدُّخان والمخدرات والخمور، وما له من الرَّشوة والرِّبا، وبيع السِّلع المحرمة، والكذب في المعاملة والغش والخديعة، والفجور، ماذا استفاد هذا من رمضان، ومن مواسم المغفرة والرضوان؟.

إنَّه لم يستفد سوى الآثام والخسران، والعقاب والنيران، كما أخبر النَّبي ﷺ أن جبريل عليه السَّلام، قال له: «مَن أَدْرَكَ شَهْر رَمَضَان، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّار، فَأَبْعَدَه الله، قُلْ: آمِين؟ فَقُلتُ: آمِين»[٢]، فهذا خبر عن محمد ﷺ عن جبريل عليه السَّلام أن من أدركه رمضان فلم يغفر له فيه ومات على هذه الحالة أنَّه في النَّار، ودعا عليه جبريل بالبعد عن رحمة الله وأمن على ذلك رسول الله ﷺ، فيا عظم الخسارة، ويا فداحة المصيبة، ويا هول العقوبة، يا من عرفت في رمضان أن لك ربًّا كيف نسيته بعد رمضان؟ يا من عرفت في رمضان أنَّ الله أوجب عليك الصَّلوات الخمس في المساجد كيف جهلت ذلك أو تجاهلته بعد رمضان؟ يا من عرفت في رمضان أنَّ الله حرَّم عليك المعاصي كيف نسيت ذلك بعد رمضان؟ يا من عرفت في رمضان أنَّ أمامك جنَّة أو نار وثوابًا وعقابًا كيف نسيت ذلك بعد رمضان؟ يا من كنتم تملؤون المساجد في رمضان، وتتلون كتاب الله فيها، كيف هجرتم المساجد والقرآن بعد رمضان؟ نعوذُ بالله من العمى بعد البصيرة، ومن الضلالة بعد الهدى.

---

(٢) سبق تخريجه.

لقد كانت المساجد في رمضان تغُص بالمصلين في الأوقات الخمسة، برجال لم ينزلوا من السَّماء، ولم يقدموا من سفر، وإنَّما يسكنون بجوار المساجد طول السَّنة ويملؤون البيوت، لكنهم لا يعرفون المساجد في غير رمضان، ولا يخافون الله في غير رمضان.

وأعجب من ذلك أنَّ هؤلاء لهم آباء وإخوان يحافظون على الصَّلاة طول السَّنة؛ لكنهم لا ينكرون عليهم؛ بل يسكنون معهم، وينبسطون بصحبتهم، ويؤاكلونهم، ويجالسونهم، فإذا حضرت الصَّلاة قاموا إليها وتركوهم، وأغلقوا عليهم البيوت مع النِّساء والأطفال، دون خوف من الله ألم تنزل اللَّعنة، والغضب على بني إسرائيل على مثل هذا الَّذي تصنعونه، وأنتم تقرؤون هذا في كتاب الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[المائدة: ٧٨-٧٩].

وقد فسَّر النَّبيّ ﷺ ذلك بأنَّ أحدهم كان يرى الآخر على معصية الله، فينهاه عن ذلك، ثُمَّ يراه مرة أخرى فلا يمنعه ذلك: فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَن يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ منهم ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُم عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَي الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْرًا**»(٣)، وفي رواية: «**أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**»(٤).

إنني أعتقد أنَّ واحدًا من هؤلاء الَّذين يسكتون عن أبنائهم، ومن في بيوتهم إذا تركوا الصَّلاة لو نقصه ابنه أو أخوه شيئًا من ماله لم يسكت عنه، ولم يتركه في بيته؛ بل تظهر شهامته ورجولته، وحزمه وغيرته على الدُّنيا، وأمَّا الدِّين فلا يهمه أمره.

فاتقوا الله، أيُّها المسلمون: واخشوا من العقوبة العاجلة والآجلة، فها هي الحروب الطَّاحنة تحيط بكم من جميع الجوانب، دمَّرت مدنًا بأكملها وأهلكت الألوف من النَّاس، وشرَّد الملايين من ديارهم،

---

(٣) أخرجه من حديث ابن مسعود أبو داود برقم (٤٣٣٨) والترمذي برقم(٣٠٤٧) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه برقم (٤٠٠٦).

(٤) هذه الرواية أخرجها أبو داود برقم (٤٣٣٩).

وأنتم تنعمون بالأمن وترفلون في الغنى والثروة، وتتمتعون بأحسن المآكل والمشتهيات، لكنكم إن لم تشكروا نعمة الله، فاحذروا من عقوبته، فقد قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: ٥٣].

ثم اعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُّ محمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة،وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمَّد، وارضَ اللَّهُمَّ عن خُلفائِه الرَّاشدين، الأئمة المهديين، أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثْمَانَ، وعليٍّ، وعَن الصَّحابة أجمعين، وعن التَّابِعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشِّرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدِّين، واجعل هذا البلد آمنًا مُطمئنًا، وسائر بلاد المسلمين عامَّةً يا ربَّ العالمين، اللَّهُمَّ من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه، واردد كيده في نحره، واجعل تدميره في تدبيره، إنَّك على كلِّ شيء قدير.

اللَّهُمَّ إنَّ أعداء الدِّين من الكفرة والمنافقين استطالوا على عبادك، وطغوا، وبغوا، وساموا عبادك المؤمنين سوء العذاب، شرَّدوهم من ديَّارهم، قتلوهم في بيوتهم، دمرَّوا اقتصادهم، كلُّ ذلك من الكيدِ للإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ وأنت العزيز الجبار المنتقم، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ عاجلهم بالعقوبة، اللَّهُمَّ إنَّهم طغوا وبغوا،

وأنت على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ لا تسلطهم علينا بذنوبنا، اللَّهُمَّ اكفنا شرهم، اللَّهُمَّ أضعف قوتهم، اللَّهُمَّ فرق جماعتهم، اللَّهُمَّ شتت شملهم، اللَّهُمَّ خالف بين قلوبهم، اللَّهُمَّ سلط بعضهم على بعض، واكفنا شرهم، وكف عنَّا كيدهم، إنَّك على كلِّ شيء قدير.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وولاة أمور المسلمين في كل مكان، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السوء والمفسدين، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

عبادَ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠، ٩١] فاذكروا اللهَ يذكُرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



